مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

تلقي الخطاب التفسيري لآيات الوحي(*)

DOI: https://doi.org/10.55074/hesj.vi33.816

د/ عبير بنت سعد بن عوضة الأحمري
باحثة الدكتوراة - قسم اللغة العربية وآدابها
كلية العلوم الإنسانية - جامعة الملك خالد بالسعودية

*) تاريخ تسليم البحث 7/5/2023 تاريخ قبوله للنشر 9/5/2023
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

تلقي الخطاب التفسيري لآيات الوحي

د/ عبير بنت سعد بن عوضة الأحمري
باحثة الدكتوراة - قسم اللغة العربية وآدابها
كلية العلوم الإنسانية - جامعة الملك خالد بالسعودية

الملخص

تبحث هذه الدراسة الوحي في القرآن الكريم وتلقيه في الخطاب التفسيري؛ باستقراء مواضع وروده في القرآن الكريم، والوقوف على الآيات التي تضمنت لفظ الوحي دراسةً وتحليلًا بالعودة إلى مؤلّفات التفسير؛ للكشف عن المعاني، والأنماط والظواهر، والخصائص المعرفية لظاهرة الوحي التي تجلّت في القرآن الكريم وانعكاسها في الخطاب التفسيري في ضوء نظرية المعرفة.

وهدفت الدراسة إلى تتبع لفظ الوحي في القرآن، وبيان معناه السياقي، والبحث في التفاسير عن تأويل كل آية؛ لمعرفة تفسير الآيات من جهة، ولمعرفة كيفية تلقي وإطلاق المفسرين للمعرفة القرآنية التي حملتها الآيات المتضمنة للفظ الوحي من جهة أخرى، وبيان الأسباب المعرفية لاختلاف التأويل بين المفسرين، والاستدلال بالبراهين التي قدّمها القرآن الكريم لأثبات الوحي مصدرًا للمعرفة.

وقد اعتمدت الباحثةُ المنهج الوصفي بالتتبعِ والوصف والتحليل لنماذج من الآيات المتضمنة للفظ الوحي، ووصف كيفية تلقيها في الخطاب التفسيري في ضوء نظرية المعرفة.

وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: أُسند فعل الوحي في القرآن الكريم إلى الله تعالى في الغالب كما أسند إلى البشر، وإلى الشياطين، وبهذا فإنَّ الوحي في القرآن الكريم ينقسم إلى وحي إلاهي، وبشري، وشيطاني، وكل وحي بشري أو شيطاني في القرآن الكريم أتى للدلالة على المعاني اللغوية للوحي، بينما اختص الوحي الإلهي بالمعنى الاصطلاحي للوحي، وأظهرت الدراسة من خلال تحليل الآيات إثبات الوحي مصدرًا للمعرفة، ووحدة المعرفة الوحيية التي يدعو إليها الأنبياء جميعًا ممثلة في التوحيد؛ مما يدل على وحدة مصدر المعرفة. وتعدد التأويل في الخطاب التفسيري يعود إلى اختلاف طبيعة تلقي المعرفة واستيعابها، وطريقة إطلاقها من مفسر إلى آخر، وأظهرت الدراسة أنَّ الاتّباع في التفسير يغلب على الإبداع؛ لأن قداسة القرآن تجعل من الاجتهاد في التفسير أمرًا محفوفًا بالمخاطر التي قد تقدح في عقيدة المفسر.

الكلمات المفتاحية: الخطاب التفسيري – القرآن الكريم — الوحي – المعنى السياقي – المعرفة.

Receive the Exegetical discourse of the verses of the revelation

Dr. Abeer Saad Al- Ahmari
PhD researcher - Department of Arabic Language and its Literatures
Faculty of Humanities - King Khalid University, Saudi Arabia

Abstract:

This study examines the revelation of the Holy Qur'an and its interpretation in the exegetical discourse. It traces the places of the occurrence of the word 'revelation' in the *Holy Qur'an* and finds out the verses that include it. It also studies and analyzes these verses in the books of Qur'an Interpretation in order to reveal the meanings, patterns, phenomena and the epistemological characteristics of the 'revelation' which is manifested in the *Holy Qur'an*, its reflection in the exegetical discourse in light of the epistemology and explain the meaning of 'revelation' in a context in the books of interpretation; to know the interpretation of the verses on the one hand, and how the interpreters receive and reproduce the Qur'anic knowledge carried by the verses that contain the word 'revelation' on the other hand. It explores and explains the epistemological reasons for the differences in interpretation between the interpreters, and inference the proofs in the *Holy Qur'an* to consider revelation as a source of knowledge. The descriptive approach is adopted in this study, through tracing, describing and analyzing examples of Qur'an verses that contain the word 'revelation', and describing how they are received in the exegetical discourse in the light of the epistemology.

The study concludes with several results, the most important of which are: The act of the revelation in the *Holy Qur'an* is attributed mostly to Almighty Allah, as it was assigned to humans and to demons. Thus, the revelation, in the *Holy Qur'an*, is divided into divine, human, and satanic revelations. Every human or satanic revelation in the *Holy Qur'an* comes with the linguistic meanings of revelation, while the divine revelation denotes the specialized terminological meaning of revelation. Through analyzing the verses, the study proofs revelation as a source of the knowledge, the unity of the revealed knowledge that all prophets call for and represented in monotheism. This indicates the unity of the source of the knowledge. The multiplicity of interpretation in the interpretive discourse is due to the difference in the nature of receiving and understanding the knowledge, and the way it is reproduced from one interpreter to another. The study shows that following in the interpretation prevails over creativity. The holiness of the *Qur'an* makes diligence in interpretation fraught with dangers and that may question the doctrine of the interpreter.

Keywords: Exegetical discourse - The Holy Quran – Revelation - Contextual meaning - Knowledge.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسانٍ عربيٍّ مُبين، والصلاة والسلام على سيد البريّة، ومعلم البشريّة، محمد بن عبد الله.

وبعد:

خلق الله الإنسان من جسدٍ وروح، واستخلفه في الأرض، وحباه العقل والحس؛ ليتفاعل مع ما حوله، مستخدمًا الحس والعقل طريقًا لمعرفة عالم الشهادة، ولعجز العقل والحس عن تعقُّل عالم الغيب وإدراكه، جعل الله تعالى الوحي طريقًا إلى معرفته، وهو طريق رباني يقيني منزهٌ عن أي خطأ بشري.

وفي الحقل المعرفي، يحتل الوحي مكانًا مميزًا، فقد جاء مهيمنًا مستعليًا على كافة المصادر الأخرى؛ فالمعرفة الوحيية يقينية يقينًا مطلقًا، مسندة إلى مصدرها الرباني مستلهمة خصائصها منه، كما أنها معرفة قائمة على الاصطفاء والمنح الصرف لا على الاكتساب أو التحصيل.

والمتأمل في الخطاب القرآني يعي أهمية الوحي ودوره المعرفي في نقل المعارف الغيبية من أحكام وتشريعات وأخبار، كما أنَّ الوحي إلى الرسل هو وحي إلى جميع البشر، فقد جاء هذا المصدر المعرفي مكمّلا للمعرفة الإنسانية الحسية والعقلية، وقد ورد لفظ الوحي في القرآن الكريم في سبعين موضعاً بمختلف اشتقاقاته، وبدلالات مختلفة متعددة بتعدد السياقات.

ومن هذا المنطلق يتجه هذا البحث إلى رصد مواضع لفظ الوحي ومشتقاته في القرآن الكريم، وتحليلها وتتبعها في الخطاب التفسيري، انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]؛ فالتعبير بالمضارع في (يتدبرون) يحثُّنا على استمرار التأمل والنظر في القرآن الكريم ودلالاته.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة المعنونة بـ "تلقي الخطاب التفسيري لآيات الوحي" محاولةً الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١- ما الدلالات اللغوية والسياقية لمادة (أوحى) ومشتقاتها في القرآن الكريم؟

٢- ما أنواع الوحي في الآيات القرآنية التي وردت فيها هذه المادة؟

٣- ما خصائص المعرفة الموحى بها في القرآن الكريم؟

٤- كيف برهن الخطاب القرآني على أنَّ الوحي مصدرٌ للمعرفة؟

٥- كيف تلقّى المفسرون المعرفة القرآنية المتعلقة بآيات الوحي؟

٦- ما الأسباب المعرفية لاختلاف التأويل بين المفسرين؟

ويهدف البحث إلى الإجابة عن هذه التساؤلات، وتتلخص الأهداف في الآتي:

١- تتبع لفظ الوحي ومشتقاته في القرآن الكريم، وبيان دلالاته اللغوية والسياقية.

٢- تحديد أنواع الوحي في الآيات القرآنية التي ورد فيها.

٣- بيان خصائص المعرفة الموحى بها في القرآن.

٤- استجلاء البراهين القرآنية التي أثبتت الوحي مصدرًا للمعرفة عن طريق الخطاب التفسيري.

٥- معرفة الكيفية التي يتلقَّى بها المفسرون آيات الوحي.

٦- الكشف عن الأسباب المعرفية لاختلاف التأويل بين المفسرين.

واقتضت الدراسة اعتماد المنهج الوصفي القائم على التتبع والاستقراء والوصف والتحليل لنماذج من الآيات القرآنية المتضمنة للفظ الوحي، وكيفية تلقيها في الخطاب التفسيري في ضوء نظرية المعرفة. **وقد سبق دراستي هذه عدة دراسات، منها:**

١- السلمي، سالم يعقوب، الوحي والإيحاء في القرآن الكريم: دراسة دلالية نحوية، مجلة آداب البصرة، ع٤٢، ٢٠٠٧م.

درسَ هذا البحث الوحي دراسة دلالية نحوية في مبحثين؛ اختص المبحث الأول بدلالة الوحي، أورد فيه الباحث معاني الوحي في القرآن، وبيّن أثر السياق والتناسب بين الآيات في تحديد الدلالة، وختم المبحث بالوقوف على دلالة الإعجاز في الوحي، وفي المبحث الثاني دراسة نحوية للوحي مقسمة حسب أبواب النحو من اسم، وفعل، وحرف.

وقد أفدتُ من المبحث الأول في دلالات الوحي، وتختلف دراسة الوحي في هذا البحث عمّا جاء في دراستي؛ إذ إن دراستي متعلقة بالخطاب التفسيري في ضوء نظرية المعرفة وهذا البحث بحثٌ لغويٌّ صرف.

٢- بمنساوي، بدرية محمد محمود، الوحي في القرآن والسنة، المجلة العلمية لكلية الدراسات الإسلامية، جامعة الأزهر، القاهرة، مج٣٩، ٢٠٢٠م.

تُفسّر هذه الدراسة ظاهرة الوحي، وتبين شموليته في القرآن الكريم والسنة المطهرة، والمقارنة بين القرآن والسنة لمعرفة الفرق بينهما في تناول قضية الوحي، وجاء البحث في أربعة مباحث، المبحث الأول هو: الوحي في القرآن، والمبحث الثاني هو: الوحي في السنة النبوية، والمبحث الثالث: الوحي قرآن وسنّة، والمبحث الرابع: شبهات حول الوحي والرد عليها.

وتختلف هذه الدراسة عن دراستي في أنَّ هدف هذه الدراسة شرعي صِرف، ودراستي تنحو منحى معرفي في ضوء نظرية المعرفة.

ولأنَّ الوحي في القرآن لم يكن متعلقًا بِمُوْحٍ واحد، فقد قد يكون الوحي من الله تعالى إلى رسله أو عباده، أو مخلوقاته الأخرى من غير البشر، وقد يكون الوحي من البشر بعضهم لبعض، أو بالشياطين الذين يوحون إلى أوليائهم، كما أنَّ الموحَى إليه مختلفٌ في كل موضع من المواضع التي ذكر فيها الوحي،

لذا عزمتُ على تقسيم هذا البحث إلى تمهيد وثلاثة مباحث، وقسمت المباحث حسب مصدر الوحي إلى: الوحي الإلهي في المبحث الأول، والوحي البشري في المبحث الثاني، والوحي الشيطاني في المبحث الثالث.

وقسمت المطالب تحت كل مبحث حسب الموحِي والموحَى إليه، وهذا أنسب تقسيم ارتضيته في دراستي هذه للفظ الوحي في القرآن.

وما توفيقي إلا بالله.

التمهيد:

مفهوم الوحي أحد المفاهيم المتصلة بالأديان والفلسفات على اختلافها، ويرتبط ارتباطًا خاصًا بدين الإسلام وبالخطاب القرآني تحديدًا؛ فالقرآن بنصه وحي، وتعاليم السنّة وحي، وجميعُ ما جاء به الأنبياء منذُ آدم عليه السلام وحي، وللوحي في اللغة دلالات لغوية، وله في المجال المعرفي الفلسفي مفاهيم خاصة، وقد تعددت معانيه اللغوية والاصطلاحية الفلسفية والشرعية، وبيانُها على النحو الآتي:

أولًا: المعنى اللغوي والاصطلاحي للوحي:

١ – الوحي لغة:

قال ابن فارس: "الْوَاوُ وَالْحَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى إِلْقَاءِ عِلْمٍ فِي إِخْفَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ إِلَى غَيْرِك، فَالْوَحْيُ: الْإِشَارَة. وَالْوَحْيُ: الْكِتَابُ وَالرِّسَالَةُ. وَكُلُّ مَا أَلْقَيْتَهُ إِلَى غَيْرِكَ حَتَّى عَلِمَهُ فَهُوَ وَحْيٌ كَيْفَ كَانَ"(١). وابن فارس بهذا التعريف يجمل لنا المعنى العام، وهو (الإعلام)، ثم يُفصل الأنماط؛ فهو إعلام بإشارةٍ، أو كتاب، أو رسالة.

وفي صحاح الجوهري: "الوحْيُ: الكتابُ، وجمعه وُحِيٌّ... والوَحْيُ أيضاً: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفيّ، وكلُّ ما ألقيته إلى غيرك. يقال: وَحَيْتُ إليه الكلامَ وأوْحَيْتُ، وهو أن تكلِّمه بكلامٍ تخفيه"(٢).

فالوحيُ لغةً ينطبق على دلالات عدة، هي: (الإشارة، الكتاب، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي)، وبهذا نستنتجُ أنَّ المعنى المركزي للوحي هو الإعلام، سواء بإشارة، أو كتابة، أو رسالة، أو إلهام.

والوحي لفظٌ عربي أصيل، "ولم يُشر أحدٌ من اللغويين ومن أَلَّفوا في الدخيلِ من كلامِ العرب إلى أنَّ لهذا الحرفِ أصلًا غير عربي، ويؤيد ذلك أنَّ من المعاني التي دلّ العرب عليها ببعض صيغ هذه المادة

(١) ابن فارس، أحمد، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر،١٩٧٩م، مادة (وحي) ٦/٩٣.

(٢) الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧، مادة (وحي)، ٦/٥١٩– ٥٢٠.

شؤون طبيعية تسبق الأمم في بداوتها إلى التعبير عنها من غير انتظار"[١]، مثل: إطلاق لفظ الوحي على النار.

وقد شهدت مفردة (الوحي) بعد الإسلام تطورًا في معناها، وتحولًا في دلالتها عمّا كانت عليه في الجاهلية، إذ كانت معهودة في اللسان العربي الجاهلي، ومستعملة في سياقات لغوية تحمل معنى الإحالة إلى آخر، وهو ما يعنيه ابن منظور في قوله: "الوحيُ كلُّ ما ألقيته إلى غيرك"[٢]. وبهذا فإنَّ للوحي امتدادًا لغويًا في دِلالتِه اللغوية العربية منذ الجاهلية، والتي انتقلت إلى الإسلام؛ فَهي وحيٌ بإحالتها إلى الله تعالى أو مِنَ اللهِ تعالى إلى المتلقي وهو النبي صلى الله عليه وسلم[٣]، كما استُخدمت لفظة الوحي بمعنى الكتابة في الجاهلية، ومن ذلك قول لبيد في معلقته:

فمدافعُ الرَّيَّانِ عرِّيَ رسْمُها ***خلقاً كما ضَمِنَ **الوُحِيَّ** سِلامُها[٤]

ومعنى الوحي هنا جمع وُحِيّ، وهو الكتاب، والمعنى أنّ آثار هذه المنازل كأنها كتاب في حجارة؛ لأنَّه لا يتبين من بعيد؛ لأنَّ نقشه ليس بشيء مخالف للونه، ولا يتبيّن إلا لمن يقترب منه[٥].

٢-الوحي في الاصطلاح الفلسفي قسمان:

أ- وحيٌ إلهيٌّ:

هو الفعل الذي يكشف به الله للإنسان الحقائق التي تجاوز نطاق عقله.

ب- وحيٌ طبيعيٌّ:

يطلق على كل معرفة بالحقائق الإلهية يوصل إليها بطريق الإلهام[٦].

٣-الوحي في اصطلاح الشريعة:

اختلف العلماء في تعريفه ومعناه، فمنهم من يعرفه بمعنى (الْمُوحى) فيقول: "ما يلقيه الله سبحانه وتعالى إلى أحد أنبيائه ورسله"[٧]. ومنهم من يعرفه بمعنى (الإيحاء) ومن ذلك قول القسطلاني: "الوحي

(١) عبد الرازق، مصطفى، **الدين والوحي والإسلام**، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢م، ص٣٥.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، مادة (وحي)، ٣٧٩/١٥.

(٣) ينظر: البخاتي، حكمة، **مفردة الوحي الإحالة والتحول الدلالي في القرآن**، الموقع الإلكتروني (مركز الإمام الشيرازي)، http://www.shrsc.com/news315، تاريخ الاقتباس ١٤/٤/ ١٤٤٣هـ، الساعة ٤م.

(٤) لبيد بن ربيعة، **ديوان لبيد بن ربيعة العامري**، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ١/ ١٦٣.

(٥) ينظر: التبريزي، **شرح القصائد العشر**، إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٢٥هـ، ص١٣٠.

(٦) صليبا، جميل، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، ٥٧٠/٢.

(٧) الأمين، عبد الله محمد عبد العزيز؛ جمال الدين عبد العزيز، **مصادر المعرفة الإسلامية**، ط٢، المكتبة الوطنية، السودان،٢٠٠٧م، ص٦٤.

إعلام الله سبحانه وتعالى عن أمور وقضايا ومعارف لمن اختاره الله لذلك، واصطفاه لتلقي رسالة بطرق خفية وسرية لا يعرفها البشر"[1]. ونجد في تعريف الأصفهاني للوحي بُعداً معرفيًا مهمًا إذ الغيب عنده "ما لا يقع تحت الحواس، ولا تقتضيه بدائة العقول، وإنما يُعلم بخبر الأنبياء"[2] فمعارف الوحي معارف لا تدرك بالعقل والحس.

ثانيًا: أنواع الوحي:

بين الله سبحانه وتعالى في القرآن أنّ وحيه إلى رسله يأتي على ثلاثة أضرب، بيَّنَها في قوله: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ [الشورى:٥١]، وهي كالآتي:[3]

١- النوع الأول: الوحي ويكون على كيفيتين:

أ- إلقاء المعنى في القلب: فالْمُوحَى إليه لا يسمع صوتًا ولا يرى مَلَكًا، وإنما يلقي الله في قلبه ما يريد إلقاءَه إليه، قال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفسٌ حتى تستوفي رزقها وأجلها"[4] والمقصود بالروع في هذا الحديث (القلب).

ب- الرؤيا الصادقة للأنبياء؛ كما جاء في رؤيا إبراهيم عليه السلام.

٢- النوع الثاني: الكلام من وراء حجاب، بلا واسطة، وذلك على ضربين:

أ- **في اليقظة:** وهو أعلى درجات الوحي، كما كلّم الله موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وكلّم الله موسى تكليما﴾ [النساء: ١٦٤]، وكما كلّم الله نبينا محمداً -صلى الله عليه وسلم- ليلة الإسراء والمعراج.

ب- **في المنام:** كما في حديث معاذ مرفوعا: "أتاني ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: فيمَ يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري ربّ..."[5].

٣- **النوع الثالث: أن يرسل رسولًا** أي: بواسطة ملك من الملائكة، والمقصود جبريل عليه السلام.

---

(١) القسطلاني، أحمد بن محمد، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، دار صادر بيروت، ٤٨/١.

(٢) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ، ص٣٦٦.

(٣) ينظر: زاهد، محمد رشيد، **موقف المستشرقين من الوحي: دراسة تحليلية**، مجلة دراسات الجامعة العالمية شيتاغونغ، مج٣، ٢٠٠٦م، ص١٠٦؛ عمر، سهام فاروق، **قضية الوحي في القرآن الكريم**، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، مج٥، ع٢٧، الإسكندرية، (د.ت)، ص١٦٣-١٦٩.

(٤) صحيح ابن حبان، رقم (١٠٨٤)، الحاكم، المستدرك، ٤/٢، ابن حجر، فتح الباري، ٢٠/١.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، رقم الحديث (٢٣٢٥)، (حديث حسن صحيح).

ثالثًا: الوحي بوصفه مصدرًا للمعرفة:

خلق اللهُ الإنسان واستخلفه في الأرض، ووهبَه العقلَ والحواسّ؛ ليتفاعل مع عالم الشهادة من حوله، ونتيجة لهذا التفاعل تحصل المعرفة الإنسانية في عالمنا، قال تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا﴾ [النحل: ٧٨]. أما عالم الغيب الذي لا تدركه الحواسّ ويعجز العقل عن **إدراكه**؛ فإنَّ الوحي الإلهي هو مصدر معرفته، "فإذا كان للحسّ مجالًا لا يتجاوزه، وللعقل مثل ذلك، والحسّ والعقل كلاهما طريقٌ لمعرفة عالم الشهادة، فإنَّ للوحي مجالًا يخصه وهو مجال عالم الغيب، فهو ينفرد بمعرفة عالم الغيب هذا بعد أنْ يُسلِّم العقل بمبدأ وجوده، ويسلم بالوحي طريقًا للمعرفة"(١).

ومن خلال الوحي يكتسب الإنسان معارفه الغيبية؛ إذ يُقدم الوحي أخبارًا ومعارف عن عالم الغيب، ويطالب العقل والحواسّ بالتأكد من صحة هذه الأخبار، ولا يقتصر الوحي على المعارف العقدية مثل التوحيد والإيمان، بل يتضمن المعارف الخاصة بالتشريع، وما يتضمنه من قوانين تنظّم حياة الإنسان في مختلف شؤونه الفردية والأسرية والاقتصادية وما إلى ذلك(٢).

وقد اختلف الفلاسفة حول المصدر الأساسي للمعرفة، وانقسموا في ذلك طرائق قددًا، ولسنا بصدد الحديث عن هذه الاختلافات الفلسفية حول مصدر المعرفة، غير أنَّ مصدر الوحي كان أكثر هذه المصادر إثارة للجدل بين منكر وموقن.

ومعلوم أن المعرفة الكونية علّمت الإنسان الصناعة والزراعة والطب...إلخ، ووَجد الإنسان من خلال هذه المعارف أنَّ الكون منظّمٌ تنظيمًا دقيقًا، وأنه موزون بميزان علمي دقيق، فلا مجال فيه للفوضى والعشوائية، فهل هذا العلم الذي بُني عليه الكون كان من فراغ؟!

إنَّ العلم صفة لا بد لها من موصوف، فهذه الخارطة أو الهندسة العلمية الرائعة التي بُني عليها الكون لا بد لها من ذات عالمة نتجت عنها، فما هذه الذات التي نتج عنها هذا التدبير الموزون لكلِّ أجزاء الكون؟ إنَّ هذه الأسئلة العقلية هي الرابط الأول بين المعرفة الكونية وعالم الغيب (الوحي)، فإذا كانت المعرفة الكونية قد أجابت عن أسئلة مهمة للإنسان في كيفية العيش وكيفية الحفاظ على كيانه؛ فإنَّ الوحي يُجيب عن أسئلة أهم وأشد خطورة، مثل: من أوجد الإنسان في الكون؟ وما الغاية من هذا الوجود؟ وماذا بعد هذا الوجود؟ كل هذه المعارف أدركها الإنسان من خلال الأنبياء عن طريق الوحي(٣).

---

(١) الكردي، راجح عبد الحميد، **نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة**، مكتبة المؤيد، ط١، ١٩٩٢، ص٧٧٧.

(٢) ينظر: الكردي، راجح عبد الحميد، **نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة**، ص٧٠٨.

(٣) ينظر: الكبيسي، محمد عياش، **مصادر المعرفة ووسائلها في القرآن الكريم**، كلية الشريعة، جامعة قطر، ص٨٩-٩٢.

المطلب الثاني: خصائص المعرفة الموحى بها

من خصائص المعرفةِ الْمُوحى بها التالي[1]:

١- أنها خاصة لأناس معدودين من البشر هم الأنبياء.

٢- أنّها ربانية المصدر، قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ١- ٥].

٣- أنها معرفة يقينية ثابتة منزهة عن التغيير.

٤- أنّها شاملة للحقائق الثابتة والمتحركة في عالمي الغيب والشهادة.

٥- أنها معرفة متوازنة وإيجابية وواقعية.

المبحث الأول: الوحي الإلهي

توطئة:

ذُكرت مادة (وحي) في سبعين موضعًا في القرآن الكريم بمختلفِ اشتقاقاتها، ومعظم المعاني القرآنية معبرة عن الأمر الإلهي للرسل، وأكثر ما استعمل في القرآن لفظ (أوحينا)[2]، وورد لفظ الوحي في القرآن في ستة مواضع كلها إعلام من الله تعالى إلى الأنبياء، وتختلفُ معاني هذه المشتقات حسب سياقات الآيات، وقد أُسند الوحي في القرآن إلى الله تعالى في جلّ المواضع التي ورد فيها فعل الوحي مضارعًا أو ماضيًا. وجاء هذا المبحث لدراسة الوحي الإلهي، وقد قسّمتُ مطالبَه حسب الْمُوحى إليه (متلقي الوحي)؛ لتعدده في القرآن، فقد يكونُ الوحي إلى الملائكة، أو الأنبياء، أو البشر من غير الأنبياء أو غير ذلك من المخلوقات مما سنبينه في هذا المبحث.

المطلب الأول: وحي الله تعالى إلى الملائكة

جاء وحي الله تعالى إلى ملائكته صراحة في آية واحدة في القرآن الكريم وبيانها في الآتي:

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ [الأنفال: ١٢].

الْمُوحِي: الله تعالى، الْمُوْحَى إليه: الملائكة، والمعنى السياقي للوحي في هذه الآية: إلقاء الأمر إلى الملائكة[3]. وذهب المفسرون إلى أنَّ إيحاء الله للملائكة يكون بدون واسطة، وبيّنَ الراغب الأصفهاني أنه

---

(١) ينظر: الشريفين، عماد؛ ومطالقة، أحلام؛ ونصيرات، رائدة، **مصادر المعرفة في القرآن الكريم والفلسفات التربوية دراسة مقارنة**، مجلة جامعة القدس، ع٣٠، ٢٠١٣م، ص٤١٦؛ والكردي، راجح عبد الحميد، **نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة**، ص٧٧٧ وما بعدها.

(٢) ينظر: النبهان، محمد فاروق، **المدخل إلى علوم القرآن الكريم**، دار عالم القرآن، حلب، ٢٠٠٥م ص٣٤.

(٣) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ، ٩/ ٢٨٠.

وحي بواسطة اللوح والقلم[١]. والذي أراه أنَّ وحي الله لملائكته هو وحيٌ بلا واسطة، فقد جاء في القرآن ما يدل على ذلك، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

يظهر من محاولات المفسرين في تفسير هذه الآية والكيفية التي يوحي بها تعالى إلى الملائكة؛ أنهم لجأوا إلى المعنى العام للوحي مع عدم الخوض في التفاصيل، فوصفوا الوحي بأنَّه إلقاء في الخفاء، أو أمر دون تفصيل الكيفيات[٢]؛ ولعل قصور العقل عن إدراك الغيب، وعدم وجود إشارات واضحة لكيفية هذا الوحي للملائكة هو سببُ غموض تفسير الوحي في هذه الآية.

المطلب الثاني: وحي الله تعالى إلى أنبيائه

يتميز إدراك الأنبياء للوحي عن إدراك غيرهم ممن أوحى الله تعالى إليهم، فإدراكهم ليس نتاج الحس ولا العقل ولا الغريزة، بل شعور خاص يمنحه الله لأنبيائه، وقد ورد وحي الله لأنبيائه في مواضع متعددة في القرآن الكريم، وفيما يلي بيان وتحليل لأهم هذه الآيات:

١- ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ۝ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٤].

الْمُوحِي: الله تعالى، الْمُوحَى إليه: النبي محمد ﷺ والأنبياء من قبله، ومعناه حسب سياق الآية: أرسلنا كما ذكر الآلوسي والزمخشري وغيرهما[٣].

تدل هذه الآية على أنَّ الله تعالى أوحى إلى النبي محمد ﷺ كما أوحى إلى النبيين من قبله بالرسالة، وقد "حرص القرآن على تسمية ما نزل على قلب محمد وحيًا؛ ليُشابه مدلول الوحي بين جميع النبيين تشابه اللفظ الدال عليه"[٤].

والوحيُ إلى جميعِ الرسل مصدره واحد، والمعرفة الموحى بها متشابهة، يوضّحُ السعدي في تفسير هذه الآية "أنَّ بعضهم يُصدّق بعضًا، ويوافق بعضهم بعضًا، ومنها: أنه من جنس هؤلاء الرسل، فليعتبره المعتبر بإخوانه المرسلين، فدعوته دعوتهم؛ وأخلاقهم متفقة؛ ومصدرهم واحد؛ وغايتهم واحدة، فلم يقرنه بالمجهولين؛ ولا بالكذابين ولا بالملوك الظالمين"[٥].

---

(١) ينظر: الراغب، الحسين بن محمد، المفردات، ص٨٦٠.

(٢) ينظر: الأعرجي، ستار جبر، **مصادر الوحي وأنواعه في القرآن الكريم**، مركز الرسالة، د.ت، ص ١٨٣- ١٨٥.

(٣) ينظر: الآلوسي، شهاب الدين، **روح المعاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩١/٣؛ والزمخشري، محمود بن عمرو، **الكشاف**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، ١/ ٥٩٠.

(٤) الصالح، صبحي، **مباحث في علوم القرآن**، دار العلم للملايين، ط٢٤، ٢٠٠٠م، ص٢٢.

(٥) السعدي، عبد الرحمن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠، ص٢١٤.

وإذا حلّلنا هذه الآية في ضوء نظرية المعرفة إلى: **العارف**: وهم اليهود الذين نزلت فيهم هذه الآيات، ومن يقرأ القرآن إلى قيام الساعة، **والمعروف**: أي حقيقة الوحي إلى النبي بالرسالة مثلما أُوحيَّ إلى النبيين من قبله، و**أداة المعرفة**: الوحي من خلال القرآن الكريم بتنزيل هذه الآية، **وعملية تلقي المعرفة**: تقليدية بإنكارها لدى اليهود ومشركي قريش، وتختلف عملية التلقي باختلاف الخلفيات المعرفية والثقافية للبشر عند من يتلقاها بقراءة القرآن.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ **يُوحَىٰ** إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]. ﴿وَلَقَدْ **أُوحِيَ** إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الزمر:٦٥]، ﴿كَذَٰلِكَ **يُوحِي** إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الشورى: ٣].

أثبت الخطاب القرآني ظاهرة الوحي، وأكَّدَ على أنها ظاهرة متصلة منذ آدم عليه السلام، وعبر الأمم وأنبيائهم، وصولًا إلى النبي محمد ﷺ، كما تظهر وظيفة التبليغ، وهي مشتركة بين الأنبياء، ويتجلّى لنا في هذه الآيات وحدة المعرفة التي يدعو إليها الأنبياء جميعًا، وهي الدعوة إلى توحيد الله تعالى، وقد جاء قوله تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وهنا تظهر "أهمية عمليتي التراكم والتواصل المعرفيتين بين الحضارات، خاصة تلك التي تربطها أصول معرفة مشتركة؛ كالتوحيد مثلًا"(١).

٢- قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ **أَوْحَيْنَا** إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

الْمُوحِي: الله تعالى، الْمُوحَى إليه: محمد ﷺ، ومعنى الوحي في سياق الآية الإعلام الخفي، وفي الآية دليل على أنَّ الوحيَ مصدرٌ للمعرفة اليقينية، والله سبحانه مصدر المعرفة(٢). يقول ابن عاشور: "هذا دليلٌ عليهم أنَّ القرآن أُنزل من عند الله"(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ...﴾ دليلٌ على أنَّ هذه المعرفة الوحيية من {الكتاب، والإيمان} كانت مجهولة لم يستدل عليها أحدٌ من قبل لا بعقلٍ ولا بحسٍّ؛ لارتباطها بعالم الغيب، حتى النبي ﷺ كان يجهلها قبل أنْ تُوحى إليه هذه المعرفة عن طريق الوحي الرباني، وبهذا فإنَّ الوحي هو الوسيلة الوحيدة لمعرفة عالم الغيب.

(١) الدغشي، أحمد محمد، **نظرية المعرفة في القرآن الكريم**، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠١م، ص٣٠٨.

(٢) ينظر: الكيلاني، ماجد عرسان، **أصول التربية الإسلامية**، دار القلم، دبي، ط١، ٢٠٠٧م، ص٢٧٧.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٥٠/٢٥.

وفي هذا السياق المعرفي يتجلّى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ **نُوحِيهِ** إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، وقولُه جل في علاه: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ **نُوحِيهَا** إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ **نُوحِيهِ** إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢].

يقول ابن عاشور: "إنَّ صدور ذلك من النبي ﷺ الأميّ آيةٌ كبرى على أنه وحي من الله"(١)، ويقصد بها معرفة النبي بأحوالِ الأمم السابقة، وهذا دليلٌ على أنَّ الوحي من الله تعالى، يقول الزمخشري: "والمعنى أنَّ هذا النبأ غيبٌ لم يحصل لك إلا من جهة الوحي؛ لأنك لم تحضر بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم، وهو إلقاؤهم أخاهم في البئر"(٢).

وتتضمن الآيات السابقة إشارة معرفية، مفادها أن الوحي مصدر المعارف الغيبية اليقينية، ولولا الوحي لم تصلنا معارف وأخبار الأقوام السابقة، واستمرّ جهلنا بها، وأنَّ الوحيَ إلى الأنبياء في الحقيقة هو وحي إلى عامة البشر عن طريق الأنبياء.

المطلب الثالث: وحي الله تعالى إلى البشر غير الأنبياء

أولًا: الوحي إلى الحواريين في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ [المائدة: ١١١].

الْمُوحِي: الله سبحانه وتعالى، والْمُوحَى إليه: الحواريون، والمعنى السياقي للوحي في هذه الآية هو: الإلهام الفطري للإنسان.

وقد اختلف المفسرون في تأويل قولِه تعالى: ﴿وإذْ أوحيتُ﴾، فذهب فريق منهم إلى أنَّ المعنى هو القذف في القلب، وهو خاصٌّ بموسى؛ أي: وحيٌ عن طريقِ الرُّسل، والآخر يرى أنَّ المعنى الإلهام، يقولُ الرازي في قوله تعالى: ﴿وإذ أوحيت﴾ بأنَّ المعنى الإلهام، باعتبار الحواريين غير أنبياء، وأشار إلى أنَّ وحي الله إلى الحواريين بإلهامهم اتباع موسى نعمة من النعم التي أنعم الله بها على موسى؛ فآمنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم(٣). وذهب البعض إلى أنه يحتمل المعنيين، ومنهم ابن عاشور في التحرير والتنوير، يقول: "والمراد بالوحي إلى الحواريين إلهامهم عند سماع دعوة عيسى للمبادرة بتصديقه... ويجوز أنْ يكون الوحي الذي

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٦١/١٣.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ٤٧٨/٢.

(٣)ينظر: الرازي، محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ٤٦١/١٢.

أوحى به إلى عيسى"[١]، وذهب الفريق الرابع إلى أنَّ المعنى الأمر على ألسنةِ الرسل عليهم السلام، ومنهم البيضاوي بقوله: "وإذ أوحيتُ إلى الحواريين: أيْ أمرتهم على ألسنة رسلي"[٢].

والمتأمل في تعدد تأويل هذه الآية وغيرها في الخطاب التفسيري، يلحظ تأثير تلقي الفرد للمعرفة على اختلافها؛ ولو لم يكن العقل التجاوزي المبدع فاعلًا في تلقي المعارف لما وجدنا هذا الاختلاف بين المفسرين، وإنْ غلب على البعض الاتباع في تفسير كثير من الآيات؛ وأرى أنَّ قَداسة القرآن جعل من الاجتهاد في التفسير أمرًا محفوفًا بالمخاطر والأخطاء التي قد تقدح في عقيدة المفسر؛ لذا كان الاتّباع في تفسير الآيات طريقة أغلب المفسرين.

ثانيًا: الوحي إلى أم موسى في قوله تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنَا** إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص:٧]، وقوله جلّ في علاه: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ﴾ [طه: ٣٨].

الْمُوحِي: الله تعالى، الْمُوحَى إليه: أم موسى، المعنى السياقي للوحي في الآية: هو الإلهام الفطري للإنسان، وذهب الكردي إلى أنَّ الوحيَ هنا بمعنى القول[٣]. وعند تحليل الآية تحليلًا معرفيًا إلى: **العارف:** أم موسى، **والمعروف:** إلقاء موسى في اليم، **والأداة:** الإلهام، **وعملية تلقي المعرفة:** فطرية؛ نجدُ أنّ القرآن أكّدَ على وجود المعرفة الفطرية التي أنكرها جُلُّ فلاسفة اليونان.

المطلب الرابع: وحي الله تعالى إلى النحل

قال تعالى: ﴿**وَأَوْحَىٰ** رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل: ٦٨].

الْمُوحِي: الله تعالى، الْمُوحَى إليه: النحل، والمعنى السياقي للوحي في الآية هو الإلهام الغريزي، يقول ابن كثير: "المراد بالوحي هنا الإلهام والهداية والإرشاد للنحل أنْ تتخذ من الجبال بيوتًا تأوي إليها ومن الشجر"[٤].

المطلب الخامس: وحي الله تعالى إلى مخلوقاته من الجمادات

أولًا: الوحي إلى السماء في قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ **وَأَوْحَىٰ** فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢]. ومعنى الوحي في الآية الأمر والتسخير والخلق، جاء في مفاتيح الغيب: "وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها: قَالَ مُقَاتِلٌ أَمَرَ فِي كُلِّ سَمَاءٍ بِمَا أَرَادَ، وَقَالَ قَتَادَةُ: خَلَقَ فِيهَا شَمْسَهَا وَقَمَرَهَا وَنُجُومَهَا، وَقَالَ السُّدِّيُّ: خَلَقَ فِي كُلِّ سَمَاءٍ خَلْقَهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْبِحَارِ وَجِبَالِ الْبَرَدِ"[٥].

---

(١) ابن عاشور: ١٠٣/٧.

(٢) البيضاوي: ناصر الدين، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ، ١٤٩/٢.

(٣) ينظر: الكردي، راجح عبد الحميد، **نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة**، ص٧٠٨.

(٤) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٩٩٩م، ٢٢٤/٢.

(٥) الرازي، مفاتيح الغيب، ٥٤٨/٢٧.

ثانيًا: الوحي إلى الأرض في قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ **أَوْحَىٰ** لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥] ومعنى الوحي في سياق الآية: الأمر والتسخير، وذهب جمع من المفسرين ومنهم ابن عباس إلى أنَّ الوحي هنا حقيقي، وذهب جمع آخر ومنهم الزمخشري إلى أنَّ الوحي في الآية مجازي(١).

المبحث الثاني: الوحي البشري

أُسند فعل الوحي في القرآن الكريم إلى البشر في موضع واحد، **هو** وحي زكريا إلى قومه: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ **فَأَوْحَىٰ** إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١].

الْمُوحِي: زكريا عليه السلام، والْمُوحَى إليه: قومُ زكريا، والوحي في الآية بمعنى الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيماء(٢)، وذهب الفتلاوي إلى أنه بمعنى الإيماء الخفي(٣). والإشارة السريعة أصل من أصول الوحي في العربية، وهذا هو المعنى الذي ذهب إليه جل المفسرين في تفسيرهم لهذه الآية، ومنهم: الزمخشري، والرازي(٤)، وأكده ابن دريد بقوله: "الوحي من الله –عزّ وجلّ ثناؤه– نبأٌ وإلهام، ومن الناس إشارة"(٥).

وفي دراسة الأعرجي للوحي لاحظ ملاحظة معرفية جديرة بالاهتمام، فقال: "والملاحظ أنَّ كل الوجوه السابقة في تفسير معنى وحي زكريا –عليه السلام– لقومه بكلامه رمزًا إنما تدور في إطار المعاني اللغوية لا يتجاوزها إلى ما تحمله المعاني الاصطلاحية للوحي المختص بما يلقيه الله تعالى إلى أنبيائه"(٦). وعندما تأملت هذه الملاحظة وجدتُ أنَّ كل وحي غير وحي الله تعالى يأتي للدلالة على المعاني اللغوية للوحي، ومن ذلك الوحي الشيطاني، وهذا ما سنبينه في المبحث التالي.

المبحث الثالث: الوحي الشيطاني

الوحي الشيطاني في القرآن هو ما يُسند إلى الشياطين في القرآن الكريم من الإيحاء إلى أوليائهم، وقد جاء الوحي الشيطاني في القرآن الكريم بمعانٍ، هي:

١– **الوسوسة:** قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكلِّ نبيٍّ عدُوّاً شياطين الإنس والجن **يُوحِي** بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

---

(١) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ٢٧٦/٤.

(٢) الصالح، صبحي، **مباحث في علوم القرآن**، ص٢٤.

(٣) الفتلاوي، عبد الزهرة تركي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، دار الكتب، بغداد، ٢٠١٢م، ص١٣٧.

(٤) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٥٠٤؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ١١٠/١١.

(٥) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، تحقيق: منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ص١٧١/١.

(٦) الأعرجي، ستار جبر، **مصادر الوحي وأنواعه في القرآن الكريم**، مركز الرسالة، (د.ت)، ص٧٧.

الْمُوحِي: شياطين الجن، والْمُوحَى إليه: شياطين الإنس، ومعنى الوحي في سياق الآية عند الرازي، وابن عاشور، البغوي، والألوسي: الوسوسة والإلقاء[١]، وهو عند ابن عطية إلقاء في اختفاء، كالمناجاة والسرار[٢]؛ أي: "يوحي شياطين الجن إلى شياطين الإنس زخرف القول"[٣].

٢- إلقاء الشُّبه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

في الآية أطلق الله تعالى على وسوسة الشياطين وإلقائهم للشبه لفظ (يوحون)، وترى سهام فاروق أنَّ التعبير "بالوحي لمراعاة مقتضى الحال والمقام"[٤]. ويقول الشوكاني: "سُمي وحيًا؛ لأنه إنما يكون خفية بينهم"[٥].

وقد اختلف المفسرون في المقصود بالشياطين في الآية؛ فيرى البعض أنهم مردة المجوس، وفريقٌ آخر يرون أنَّ المقصود إبليس وجنوده، وفسّرها فريقٌ ثالثٌ بأنَّ المقصود هم اليهود[٦].

وإذا حللنا أجزاء هذه المعرفة الشيطانية في ضوء نظرية المعرفة؛ فإنَّ **العارف** هو (شياطين الإنس) في الآية الأولى، و (أولياء الشياطين؛ كفار قريش) في الآية الثانية، **والمعروف**: (زخرف القول الباطل) في الآية الأولى، و(الجدال بالباطل لإبطال أحكام الإسلام) في الثانية. **وأداة تلقي المعرفة** في الآية الأولى هو (العقل المنفعل بالوسوسة)؛ باعتبار هذه المعرفة معرفة غير مادية وهي الوسوسة الشيطانية؛ وفي الآية الثانية هي (السمع غير المعقلن)؛ باعتبار المقصود بالشياطين مردة المجوس، وعملية تلقي المعرفة عملية اتباعية تقليدية؛ لأن هذه المعرفة وافقت خلفيتهم المعرفية، فهم لا يريدون التسليم لأمر الله، وقد حذّر الخطاب القرآني من طريقتهم الاتباعية في تلقي معارفهم هذه بقوله تعالى: ﴿وَإِن أَطَعتُمُوهُم إِنَّكُم لَمُشرِكُونَ﴾.

ومن القضايا المعرفية التي لاحظتُها أثناء تحليلي لهاتين الآيتين من خلال الخطاب التفسيري قضية أشرتُ إليها سابقًا، وأعودُ هنا لتأكيدها؛ وهي اختلاف المفسرين في تلقي الخطاب القرآني، وهذه قضية معرفية ترجع إلى اختلاف الأفهام بين المفسرين؛ مما يؤدي إلى اختلاف التأويل، كما أن طريقة تلقي المعرفة

---

(١) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ١٣/ ١٢٠؛ وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٨/ ١٠؛ والبغوي، **معالم التنزيل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ، ٣/ ١٨٠؛ والألوسي، **روح المعاني**، ٤/ ٢٥١.

(٢) ابن عطية، عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢/ ٣٣٦.

(٣) أبو حيان، محمد بن يوسف، **البحر المحيط**، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٤/ ٦١٩.

(٤) ينظر: سهام فاروق، **قضية الوحي في القرآن الكريم**، ص١٦٠.

(٥) الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير**، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤هـ، ٢/ ١٥٩.

(٦) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ٢/ ٣٤٠؛ الألوسي، **روح المعاني**، ٤/ ٢٦٢.

وتعقلها ثم إطلاقها تختلفُ من مُفسر إلى آخر، فمن المفسرين من يعتمد على علوم العربية وما فيها من تأويلات في تفسير وتوجيه الخطاب القرآني، ومنهم من يعودُ إلى جمع تفاسير من سبقه، ومن ثم يُرجح ويضعّف ويستنبط؛ فعمليةُ تلقي المعرفة واستيعابها، ثم إطلاقها عملية معرفية تختلف باختلاف الأفراد، وتتأثر بأدواتهم المعرفية، وخلفياتهم الثقافية.

الخاتمة:

بلغ البحث نهايته، ومن أهم النتائج التي تمخّض عنها الآتي:

- كلمة الوحي جاءت في القرآن في ثمانية وسبعين موضعا، في سور كلها مكية، وأكثر ورودها في الآيات بصيغة الفعل الماضي والمضارع.
- فعل الوحي في القرآن مسندٌ – غالبًا – إلى الله تعالى، وفي كثير من الآيات مبني للمجهول، وقد أُسند إلى البشر في موضع واحد، وإلى الشياطين في موضعين.
- الْمُوحَى إليه في الغالب الأنبياء، وأغلبهم محمد ﷺ.
- كلُّ وحي غير وحي الله تعالى من وحي بشري وشيطاني في القرآن الكريم أتى للدلالة على المعاني اللغوية للوحي، بينما اختص الوحي الإلهي بالمعنى الاصطلاحي للوحي.
- من خلال تحليل الآيات أظهرت الدراسة إثبات الوحي مصدرًا للمعرفة.
- وحدة المعرفة الْمُوحى بها إلى الأنبياء ممثلة في التوحيد؛ مما يدلُّ على وحدة مصدر المعرفة.
- تعدد التأويل في الخطاب التفسيري يعود إلى اختلاف طبيعة تلقي المعرفة واستيعابها وطريقة إطلاقها من مفسر إلى آخر، والاتباع في التفسير غلب على الجانب الإبداعي؛ لأن قداسة القرآن جعلت من الاجتهاد في التفسير أمرًا محفوفًا بالمخاطر التي قد تقدح في عقيدة المفسر.
- اختلاف المفسرين في تلقيهم للمعارف القرآنية يظهر في اختلاف تأويلهم في كثير من الآيات.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولًا: الكتب العلمية:

الأعرجي، ستار جبر، **مصادر الوحي وأنواعه في القرآن الكريم**، مركز الرسالة، د.ت.

الألوسي، شهاب الدين، **روح المعاني**، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

الأمين، عبد الله محمد عبد العزيز؛ وجمال الدين عبد العزيز، **مصادر المعرفة الإسلامية**، ط٢، المكتبة الوطنية، السودان، ٢٠٠٧م.

البغوي، الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل**، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ.

البضاوي: ناصر الدين، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ.

التبريزي، **شرح القصائد العشر**، إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٢٥هـ.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ت: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧.

أبو حيان، محمد بن يوسف، **البحر المحيط**، ت: صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ت: منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

الدغشي، أحمد محمد، **نظرية المعرفة في القرآن الكريم**، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠١م.

الرازي، محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، ت: صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.

الزمخشري، محمود بن عمرو، **الكشاف**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

السعدي، عبد الرحمن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.

الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير**، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤هـ، ١٥٩/٢.

الصالح، صبحي، **مباحث في علوم القرآن**، دار العلم للملايين، ط٢٤، ٢٠٠٠م.

صليبا، جميل، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.

ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ.

عبد الرازق، مصطفى، **الدين والوحي والإسلام**، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢م.

ابن عطية، عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز**، ت: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.

ابن فارس، أحمد، **مقاييس اللغة**، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

الفتلاوي، عبد الزهرة تركي، **نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة**، دار الكتب، بغداد، ٢٠١٢م.

القسطلاني، أحمد بن محمد، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، دار صادر بيروت، ١٩٩٦م.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ت: سامي سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٩٩٩م.

الكردي، راجح عبد الحميد، **نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة**، مكتبة المؤيد، ط١، ١٩٩٢م.

الكيلاني، ماجد عرسان، **أصول التربية الإسلامية**، دار القلم، دبي، ط١، ٢٠٠٧م.

لبيد بن ربيعة، **ديوان لبيد بن ربيعة العامري**، دار صادر، بيروت، د. ت.

ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

النبهان، محمد فاروق، **المدخل إلى علوم القرآن الكريم**، دار عالم القرآن، حلب، ٢٠٠٥م.

ثانيًا: المجلات والدوريات:

زاهد، محمد رشيد، **موقف المستشرقين من الوحي**: دراسة تحليلية، مجلة دراسات الجامعة العالمية شيتاغونغ، مج٣، ٢٠٠٦م.

الشريفين، عماد؛ ومطالقة، أحلام؛ ونصيرات، رائدة، **مصادر المعرفة في القرآن الكريم والفلسفات التربوية دراسة مقارنة**، مجلة جامعة القدس، ع٣٠، ٢٠١٣م.

عمر، سهام فاروق، **قضية الوحي في القرآن الكريم**، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، مج٥، ع٢٧، الإسكندرية، د.ت.

الكبيسي، محمد عياش، **مصادر المعرفة ووسائلها في القرآن الكريم**، مجلة كلية الشريعة، جامعة قطر، د.ت.

ثالثًا: المراجع الإلكترونية:

البخاتي، حكمة، **مفردة الوحي الإحالة والتحول الدلالي في القرآن**، الموقع الإلكتروني (مركز الإمام الشيرازي)، http://www.shrsc.com/news315 تاريخ الاقتباس ١٤٤٣/٤/١٤هـ، الساعة ٤م.